

ذِكْرَاتِي مَعَ أُمِّي وَأَبِي

تقديم و مراجعة
أمي الحبيبة (أم عصام)

ابنكم ومحبتكم
عصام بن محمد باسنبل



الطبعة الأولى ١٤٤٧هـ
طبعة خاصة بالمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكرياتي.. مع أمي وأبي

ابنكم ومحبتكم
عصام بن محمد باسنبل

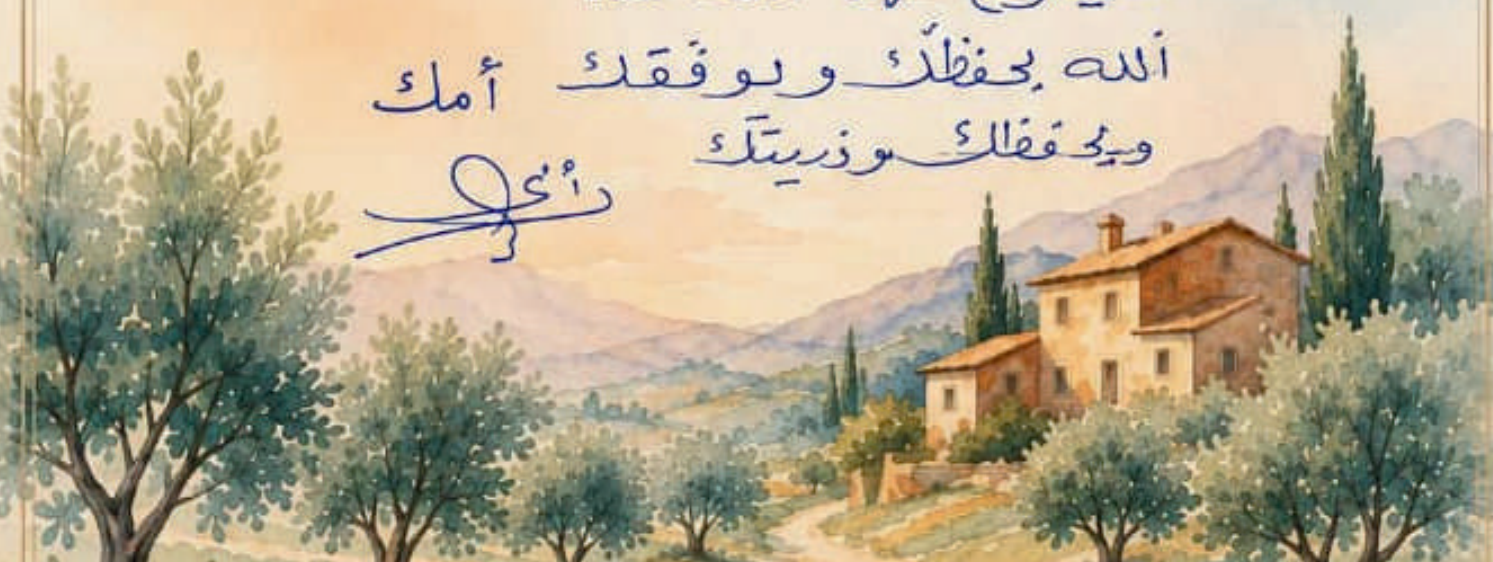


تقديم

أمي الحبيبة (أم عصام)

بسم الله الرحمن الرحيم
يا أمي عصام قرأت كتابك وقرأت الكلام
الذي كتبت عن أمك وأبوك وفرحت
من قلبي . وأجول شراً عندك أم
والأب يشوفون وللهم ما نسيتهم
وما نسي الأيام التي عاشهم معهم
ويذكر الموقف الذي مرت
النشر هذا الكتاب وأني راضيه
ولو كان أبوك الله يرهم حي
ما يفرح بهذا الكتاب .
الله يحفظك ويوفقك أمك
ويحفظك وزييتك

رائد



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين،
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يقول الله تعالى:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنَهَرْهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)
وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَّانِي صَغِيرًا﴾

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟
قَالَ: أُمَّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمَّكَ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أُمَّكَ،
قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ أَبُوكَ ..

فلم تكن حياتي مجرد أيام تمضي ..
بل كانت حكاية تُروى بين قلبين،
قلب علّمني كيف أحب،
وقلب علّمني كيف أكون .

أُمِّي:

ذلك الدَّفءُ الذي لا يخبو،

وذلك الدَّعاء الذي كان يسبقني إلى الطَّريق ..

و أَبِي:

ذلك الظِّلُّ الذي احتميتُ به،

وذلك الصَّوت الذي كان يرشدني كلما ضعتُ ..



بينهما كبرتُ

وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِمَا تَشَكَّلْتُ رُوحِي،

وَفِي تَفَاصِيلِهِمَا كُتِبَتْ حَكَائِي ..

هذا الكتابُ ليسَ سرِّدًا للذِّكرياتِ فقط

بل هو وفاءٌ .. وحنين .. ودموع تبتسم

إنَّها صفحاتٌ مِنْ قلبي ..

أكتبُها .. لأبقى قريبًا منهما

ولو غابا ..

ابنكم المقصّر

عصام



إِلَيْكُمَا

إلى أمي:

التي علّمتني كيف يكونُ

الحب بلا مقابل ..

إلى أبي:

الذي علّمني أنَّ الرجالَ

مواقف لا كلمات ..

إليكما: 

وإنَّ عَجَزَ اللسان عن الوفاء ..

فالقلبُ يشهدُ أنَّكما الحياة ..

كبرنا .. وَكَبُرَ معنا حنينُ الطُفولة،

تغيَّرت الأيام لكنَّ صورةَ أمي وهي

تنتظرني لم تتغيَّر ..

اشتدَّ عودي،
ومَا زلتُ أبحثُ في صوتِ
أبي عن الأمان ..

فهذا الكتاب ليس أدبًا
وَلَا سيرةً كاملة ..



بل هو نبض قلبي تذكّر..

ليقولَ مرَّةً أخرى:

كُتِبَتْ هَذِهِ الصَّفَحَاتُ وَفَاءً وَاعْتِذَارًا،
وَحُبًّا لَمْ أَحْسِنِ التَّعْبِيرَ عَنْهُ فِي وَقْتِهِ،
فَإِنْ وَجَدْتَ فِي سَطُورِهِ دَفْنًا ..

فَاعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى ..
ثُمَّ دَعَاءِ أُمِّي، وَصَبْرِ أَبِي ..



أمي..

الفصل الأول

أمي.. دِفْءُ الْعُمْرِ



دِفْءُ الْعُمْرِ

حضانها الأول

كنتُ صغيرًا..

أصغرُ من أن أفهم معنى الأمان
لكنني كنتُ أعرف طريقه،
كلّما ضاقت بي الدُّنيا ركضتُ إليها
لا أسأل، لا أشرح، لا أشتكي،
يكفي أن أختبئ في حضانها
فتسكت العواصف ..

أذكرُ يومًا من الأيام
عدتُ باكياً من المدرسة،
كلماتُ جارحةٍ من طفلٍ مثلي
هزّت قلبي الصغير .. 

دخلتُ البيت:
حاولت أن أتظاهر بالقوَّة،
لكنَّها رأتني
لأنَّ الأمَّ لا تُخدع ..

اقتربتُ
ووضعتُ يَدَهَا على رأسي،
وقالت: "تعال يا ولدي"
فانفجرتُ بالبكاء .

لم تسأل: ماذا حدث؟
لم تقل: كُن رجلاً
لم تلقِ موعظة،
فقط... ضمَّتي إلى حضنها .
وكأنَّها تقول:
العَالَم قد يقسو عليك،
لكنني هنااااااااااا ..

كبرتُ بعد ذلك:
تعلمتُ الرَّد،
وتعلمتُ المواجهة،
وتعلمتُ أن أبدو قويا ..

لكنني، اكتشفتُ شيئا متأخرا:
أن أول درسٍ في الثبات
لم يَكن في المدرسة،
ولا في الشارع
بل: في حضن أمي .. 

واليوم:
أدركتُ أن ذلك الحضن
لم يكن مجرد عاطفة،
بل كان رحمةً أودعها الله في قلبها ..

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغْنِ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٢٢﴾ ..

وَكَانَ هَذَا الْإِحْسَانُ،
يَبْدَأُ مِنْ تِلْكَ اللَّحْظَاتِ الصَّغِيرَةِ ..
مِنْ حُضْنٍ يُرْمَمُ،
وَكَلِمَةٍ تُجْبَرُ،
وَصَبْرٍ لَا يُرَى ..

قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ)..
فلم تكن تلك المكانة عبثاً..
بل لأنَّ قلبها كان وطناً
قبل أن نعرف الأوطان،
فبِرَّ الوالدين من أبواب الجنة ..

واليوم:

فهمتُ أكثرَ أنَّ ذلكَ الحُزنَ،
لم يكنْ لحظةً عابرةً ..
بل كانَ بناءً للنفسِ،
وتحصيناً للقلبِ،
وتأسيساً لثقةٍ لا تُرى ..
فالأم لا تُربِّي بالكلمات فقط ..
بل بالطَّمأنينة ..

فكلَّما ضاقَ صدري اليوم ..
تذكَّرتُ ذلكَ الحُزنَ الدَّافئَ، فأبتسم ..
فقد كانَ الجدارَ الذي يحميني بقيَّةَ عمري ..



دعوات الفجر

كان البيتُ ساكنًا ..
والليلُ مَا زالَ يمدُّ عباءته على النوافذ،
لكنَّ في زاوية الغرفة،
كان هناك نور لا يُرى،
إنه: نورُ أمِّ واقفةٍ بين يدي ربِّها .

كنتُ أستيقظُ أحيانًا
على همساتٍ خافتة،
لا هيَ قراءةٌ مرتفعة،
ولا بكاءٌ ظاهر،
بل صوتٌ مكسور ..
يشبه قلبًا يتكلَّم ..

أَفْتَحْ عَيْنِي قَلِيلًا،
فَأَرَاهَا سَاجِدَةً
تُطِيلُ السُّجُودَ ..
وَتُكْرِّرُ اسْمِي ..

كُنْتُ صَغِيرًا،
لَا أَفْهَمُ لِمَاذَا تَذْكُرْنِي فِي دَعَائِهَا
أَكْثَرَ مِمَّا تَذْكُرُ نَفْسَهَا ..

مَرَّتِ السَّنَوَاتُ ..
وَنَسِيتُ كَثِيرًا مِنْ تَفَاصِيلِ طِفُولَتِي،
لَكِنِّي لَمْ أَنْسَ ذَلِكَ الْمَشْهَدَ:
أُمِّي فِي ظِلْمَةِ الْفَجْرِ
تَزْرَعُ لِي نُورًا فِي الْغَيْبِ ..



كم نجوتُ من أمرٍ لم أكن أعلمُ به؟
كم فتَحَ لي بابٌ لا أعرفُ سببه؟
كم انشرحَ صدري في موقفٍ عصيبٍ
بدعوةٍ خرجتُ من قلبها؟
لم أكن أرى أثرَ الدعاءِ فقط ..
بل كنتُ أعيشُ نتائجه ..

واليوم:

أدركتُ شيئاً عظيماً:

إِنَّ أُمِّي لم تكن فقط تطهو لنا الطَّعام ..
بل كانت تغمر حياتنا بدعواتها الصادقة.



لم تكن تهتم بيومنا فقط،
بل كانت تغرس فينا ما ينفعنا في مستقبلنا..
وقد أخبر الله تعالى عن شأن الدعاء فقال:
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ..

وفي جوف الليل،
حيثُ الإخلاص والصدق،
تنزلُ الرَّحْمَاتُ، وتُفْتَحُ الأبواب
وتُستجابُ الدَّعَوَاتُ ..

قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ:
مَنْ يَدْعُونِي؟ فَأَسْتَجِيبَ لَهُ،
مَنْ يَسْأَلُنِي؟ فَأُعْطِيَهُ،
مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي؟ فَأَغْفِرَ لَهُ؟) ..

فكيف إذا كان الدَّاعِي .. أَمَا؟
وقلبها ممتلئٌ رَحْمَةً وَصَدَقًا وَحِرْصًا؟ ..

قال النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم:
(ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ:
دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ)،
فدعوة الأم لولدها:
ليست مجرد كلمات،
بل سلاحٌ خفي،
و حماية لا ترى..

وكان من دعاء الصالحين
كما حكى الله تعالى عنهم:
﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ ﴾ ..

واليوم أسأل نفسي:
هل دعوتُ لها كما كانت تدعو لي؟
هل وقفتُ في فجرٍ واحدٍ
أذكرُ اسمها كما كانت تذكرُ اسمي؟

إِذْنِ:

دعوةٌ أمٍّ في جوف الليل،
قد جعلها الله مفتاحًا لتوفيق طويل ..
فإن كانت أمُّك حيَّةً،
فلا تحرم نفسك من دعائها .

وإن كانت قد رحلت،
فلا تحرمها من دعائك ..
﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ ..



خوفها علي^٣

لم أكن أفهم سرَّ قلقها الدائم:
إذا تأخَّرتُ قليلًا، اتَّصلت ..
إذا سافرتُ قريبًا،
أوصت عشرَ مرَّات ..
إذا مرضتُ مرضًا عابرًا،
سهرت، وكأن الأمر حياةً أو موت ..

كنتُ أبتسمُ أحيانًا وأقول:
"يا أمِّي .. الأمر بسيط"
فتقول وهي تحاول أن تبدو هادئة:
"أعرف .. لكن قلبي لا يهدأ" ..

أذكرُ أنني تأخرتُ قليلًا خارج البيت،
لم يكن في الأمر شيءٌ خطير،
مجرد انشغال مع الأصدقاء ..

عدتُ متأخرًا ..
فتحتُ الباب،
فوجدتها جالسةً في الصَّالة،
الأنوار كلها مضاءة ..
وعيناها متعبتان،
قالت بصوتٍ حاول أن يكون عاديًا:
"الحمدُ لله أنك جئت .."

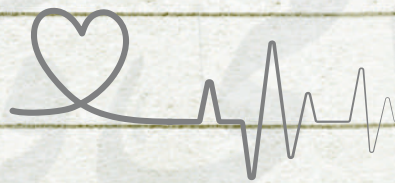
لم تعاتبني كثيرًا ..
لكنني رأيتُ في عينيها شيئًا
لم أره من قبل ..
خوفًا صادقًا،
لا يعرفُ الحسابات ..

كبرتُ ..

وصرتُ أستغربُ مبالغتها في القلق،
حتى جاء اليوم الذي
تأخرت فيه أحد بناتي قليلًا في المدرسة ..
جلستُ أنتظر،
أمشي قليلًا،
أنظر إلى الهاتف،
أفتحُ الباب ثمَّ أعود ..

حينها :

فهمتُ أن أمي كانت
لا تخاف على يومي فقط ..
بل كانت تخافُ على عمري كله ..
كانت لا تخاف عليَّ
من فكرة التأخير،
بل من فكرة الفقد ..



لم يكن خوفها عليَّ ضعفاً،
بل رحمةً أودعها الله في قلبها ..
وقد وصفَ الله الوالدين
بهذا المعنى العظيم، فقال:
﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ..

فهي رحمةٌ تظهر
أحياناً خوفاً،
وتظهر قلقاً ..
لكنَّ أصلها .. حبٌّ عظيم ..

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ ،
ومن هذه الوصية:
أن نفهم مشاعرهم،
وأن نقدرَ ما في قلوبهم
من خوفٍ علينا ..

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:
(كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ):
فكانت الأم:

أعظم مَنْ حَمَلَ هذه المسؤولية
وأصدق مَنْ خاف،
وأكثر مَنْ سهر ..

واليوم:
إذا أوصتني أمي كثيرًا
لا أبتسم باستخفاف،
بل أقول في نفسي:
"هذا قلبٌ يتصدق عليَّ بالخوف" ..

(أُمِّكَ، ثُمَّ أُمِّكَ، ثُمَّ أُمِّكَ):
ليس عبثًا أَنْ تُقَدِّمَ الأم،
بل لأنها تحملُ مِنَ الرَّحْمَةِ والخوف،
مَا لَا يحمله غيرها ..

فلا تستهن بقلق أمك عليك ..
فهو شكل آخر من أشكال الحب ..

وإذا قالت لك:

"انتبه لنفسك" ..

فاعلم أنها تقول:

"قلبي معك" ..



دمعتها الخفيفة

لم تكن أمي كثيرة البكاء أمامنا،
كانت قوية،

كذا أرادت لنا أن نراها ..
لكنني تعلّمت مع الأيام،
أن للأمّهات دموعًا لا تُعلن ..

أذكر يومًا دخلتُ عليها فجأةً،
فمسحت وجهها بسرعة،
لسان حالها يقول وهي مبتسمة:
"دخلت دون أن تطرق"

كانت الابتسامة موجودة،
لكنَّ عينيها كانتا تقولان شيئاً آخر
سألتها:

"كُنْتُ تبكين؟"

قالت:

لا يا ولدي، غبارٌ دخلَ عيني " ..

كبرتُ ..

وعرفتُ أنَّ الغبارَ

لم يكن من النافذة،

بل من تعب الأيام،

وهو ذلك التعب الذي

أشار إليه الله تعالى بقوله:

﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ ﴾

كانت تبكي حينَ يمرضُ أحدنا،
تبكي حينَ يُخطئُ أحدنا،
تبكي إذا رأَتنا مختلفين،
تبكي خوفاً علينا، وليس مِنَّا ..

لكنَّها لا تريد أن نحمل همَّها،
الأم: تُتقن فنَّ الإخفاء ..
تُخفي ألمها ..
لتُبقي لنا الطمأنينة ..

وهذا مِن الإحسان الذي
أمر الله به فقال:
﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾،
وقال سبحانه:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا ﴾ ..
وكانَ الله يُلَفِت نظرنا إلى ما لا نراه،
إلى تَعَبٍ مخفي، وصبر صامت

مرّة سمعتها تدعو وتبكي،

لم يكن بكاءً شكوى،



بل بكاءً أمّ

تحملهم أبناءها إلى الله ..

فتذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(ثلاث دعوات مستجابات لا شكّ فيهنّ، ومنها: دعوة

الوالد)،

فكانت دمعها دعاء،

وكان بكاؤها عبادة ..

وفي تلك اللحظة أدركت:

أن دمة الأم ليست ضعفاً، بل عبادة

نحن نرى ضحكتها،
نسمعُ وصاياها،
نأخذُ عطاياها ..
لكننا لا نرى دائماً
الدموع التي تدفع ثمنَ راحتنا ..
ولهذا قال ابن عمر:
"بُكَاءُ الْوَالِدَيْنِ مِنَ الْعُقُوقِ وَالْكَبَائِرِ" ..

واليوم:
أتذكر قول الله تعالى:
﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ،
فهذا الذلُّ الجميل،
وهذا اللطف الخفي،
هو بعض الوفاء لتلك الدموع الخفية ..

اليوم:

إذا رأيتُ في عينيها لمعاناً غريباً،

أدَّعي أنني لم ألاحظ،

ليس تجاهلاً ..

بل احتراماً لسترها ..

فلا تنتظر أن تشتكي أمك،

فالأمهات لا يُجدن الشكوى ..

بل اقترب منها أحياناً بلا سبب،

وقل لها:

"أنتِ بخير؟"

فربّما كانت تحتاج السؤال،

أكثر ممّا تحتاج الجواب

وتذكّر قول النّبي صلى الله عليه وسلم:
(رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ،

قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

قال: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ،

أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ) ..



حين مَرَضْتُ

لم يكن المرض خطيرًا ..
حُمَّى عابرة،
وَأَلَمٌ في الجسد،
وأيامٌ قليلة في الفراش ..
لكن في نظر أُمِّي،
كان الأمرُ أكبرَ من ذلك بكثير ..

جَلَسْتُ بجانبِ،
كَأَنَّهَا تحرسُ كنزًا ثمينًا ..
تضعُ يدها على جِبي كل لحظة،
تُغطِّيني .. تسألني:
هل خَفَّ الألم؟
أهزُّ رأسي مُطمئنًا،

وأقول:
"أنا بخير" ..
لكنّها لا تقتنع بسهولة ..

في تلك الليلة
لم تنم ..
كنتُ أفتحُ عينيَّ أحيانًا،
فأراها جالسة،
تراقبُ أنفاسي،
وتهمسُ بالدُّعاء لي ..
تذكرتُ حينها قول الله تعالى:
﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾،
فهي ربّت، وسهرت، وخافت ..
فكان من حقّها أن أدعو لها بالرحمة كما رحمتُ ..

لم تكن تملك دواءً سحرياً،
لكنها كانت تملك قلباً
يرفض أن يُسلم بالألم ..
وهذا من أعظم معاني الرحمة
التي جعلها الله في القلوب،
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ،
وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ) ..

وحين اشتدَّ عليَّ التعب،
رأيتُ في عينيها دمعة حاولت إخفاءها،
كأنَّ الألم انتقل إليها،
وكأنَّ الجسد الذي يتوجع،
ليس جسدي وحدي ..

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ،
مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ،
تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى) ..

فكيف بقلب الأم؟
 فقد جُبِلَ على أن يكونَ
أقربُ إلينا من أنفسنا؟

مرّت الأيام، وشُفيتُ ..
عدتُ أركضُ وألعبُ،
ونسيّتُ تفاصيل المرضِ
لكنها لم تنسَ ..
كانت تسألني بعدها،
مَا زال الألم يزورك؟

كبرتُ ..

ومَرِضْتُ مرَّةً أُخرى،

ولكنَّ هذه المرَّة

كنتُ بعيدًا عنها ..

فتذكَّرتُ قول الله تعالى:

﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾،

وعرفتُ أَنَّ مِنْ أعظم المعروف،

أَنْ تكونَ قريبًا حينَ تحتاجُك القلوب ..

أدركتُ أَنَّ أقسى مَا في المرض،

ليس الألم،

بل أَنْ تمرضَ،

دونَ أَنْ تكونَ أُمَّكَ بجوارك ..

الأم لا تعالج الجسد فقط،
بل تطمئن الروح،
فوجودها سَكينة،
ودعاؤها شفاء ..

فإذا رأيتَ أمَّكَ تسهرُ عليكِ وأنتَ مريض،
فاعلم أنَّ صحتك
جزءٌ من راحتها ..



ولا تنسَ حين تكبر،
أن تسهرَ يومًا على راحتها،
وأن تُخَفِّفَ عنها تعبها،
كما سهرت هي على أنفاسك،
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(رِضا الرَّبِّ في رِضا الوالِدِ،
وَسَخَطُ الرَّبِّ في سَخَطِ الوالِدِ) ..



حين كبرت

كبرتُ،
أو هكذا ظننتُ ..
صار لي مستقبل،
وصوتٌ أعلى،
وخطواتٌ أسرع من خطواتها ..

بدأتُ أقول:
"أنا أعرف"،
"دعيني أتصرّف"
"الأمور تغيّرت يا أمي".

كانت تنظرُ إليَّ مبتسمة،
لا تُجادل كثيرًا،
لكنَّ في عينيها سؤالٌ هادئٌ:
"هل كبرت حقاً؟"

وهنا يتجلى ميزانُ رباني دقيق،
فالله تعالى يقول:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
إِذَا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ
لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۖ﴾ ..

فكلُّما كُبرتُ،
زاد حقها عليَّ،
لا العكس ..

أذكرُ أولَ مرَّةٍ خالفتُ نصيحتها،

لم يكن الأمرُ كبيرًا،

لكنني كنتُ مُصرًّا ..

قالت بهدوء:

"كما ترى يا ولدي، لكن انتبه"،

لم تقل: أخطأت،

لم تقل: ستندم،

تركنتي أتعلّم ..

وحينَ تعثرتُ،

لم تقل: ألم أقل لك؟

قالت فقط:

"تعال" ..

وهكذا الأم ..

بابها لا يُغلق،

حتَّى على أخطائك .

وقد جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم
يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ،

فَقَالَ لَهُ:

(أَحْيَىٰ وَالِدَاكَ؟، قَالَ: نَعَمْ،

قَالَ: فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ) ..

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى

أَنْ مِلَازِمَةَ الْوَالِدَيْنِ، وَخِدْمَتَهُمَا

أَعْظَمُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ

الَّتِي يَظُنُّهَا النَّاسُ كِبَرًا وَرَفْعَةً ..

كَبُرْتُ فِي الْعَمَلِ،

كَبُرْتُ فِي الْمَجْتَمَعِ،

كَبُرْتُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ،

لَكِنِّي كُلَّمَا دَخَلْتُ بَيْتَهَا،

عَدْتُ صَغِيرًا ..

تسألني:

"أكلتَ جيِّدًا؟"

"لا تتعبُ نفسك كثيرًا"

"انتبه لنفسك"

"تحصَّن"

"اقرأ ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ .. ﴾

وهي آخر آيتين من سورة البقرة" ..

كنتُ أبتسم،

ثمَّ أدركُ أنني في قلبها

طفلاً لا يكبر ..



كبرتُ جسداً،

لكنها بقيت تراني ابنها الصغير ..

ولعلَّ هذا أعظمُ حُبٍّ:

أن يراك أحدهم كبيراً أمام العالم،

وصغيراً في قلبه ..

فَالكِبَرُ الْحَقِيقِيُّ لَيْسَ فِي الْعُمُرِ،
بَلْ فِي الْبِرِّ ..
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ،
قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:
مَنْ أَذْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ،
أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ) ..

اليوم فهِمْتُ مَعْنَى عَجِيْبًا:
النُّضْجُ الْحَقِيقِيُّ، لَيْسَ أَنْ
تَسْتَغْنِي عَنْ نَصِيحَةِ أُمِّكَ،
بَلْ أَنْ تَزْدَادَ احتِيَاَجًا لَهَا
وَأَنْتِ تَكْبِرُ ..

فَلَا تَجْعَلِ كِبَرَ سِنَّكَ،
يُحْجِبُكَ عَنْ بَرِّ أُمِّكَ

فأله تعالى قرن شكره بشكرهما،
فقال سبحانه: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾

فمهما بلغت من العمر،
ستبقى في قلبها
ذلك الطفل
الذي كانت تحمله بين ذراعيها .

فلا تكبر عن البرِّ
ولا تتأخر عن الإحسان ..
وتذكر قوله تعالى:
﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ ..
قال ابن عباس رضي الله عنهما:
(إِنِّي لَا أَعْلَمُ عَمَلًا،
أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .. مِنْ بَرِّ الْوَالِدَةِ) ..



صبرها الذي را يُرى

لم أكن أرى صبرها؛
لأنه ليس صبرًا يَشْتَكِي،
ولا صبرًا يُعلن نفسه،
بل صبرٌ يمشي بيننا
كأنه أمرٌ عادي ..

كانت تستيقظ قبلنا،
وتنام بعدنا،
تبتسم ..

حتى في الأيام التي
لا تدعو للابتسام ..

تُخفي تعبها،
وتقول:
"أنا بخير"
وكنا نصدّقها
لأننا لا نرى مَا وراء الكلمة ..

وهكذا يكون الصّبر الذي يحبه الله،
قال سبحانه:
﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ..

فهي لا تنتظر مدحًا،
ولا تبحث عن مقابل،
لكن الله يرى، ويكتب، ويجزي ..

مرّت أيام ضيق،
وأيام شدة،
وأيام كان البيت فيها يحتاج معجزة

لكنّها لم تكن تتحدّث عن همومها،
كانت تتحدّث عن الأمل،
كأنّها تقول لنا:
لا تخافوا، أنا أحمل عنكم ما لا ترون .

وهذا من أعظم معاني التوكّل،
الذي أمر الله به فقال:
﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ ..

أذكرُ يومًا سمعتها تقول:
" الحمد لله على كلِّ حال "
ولم يكن الموقف ما يُفرح،
لكنّها كانت ترى ما لا نراه ..

قال عليه الصلاة والسلام:
(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،
وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،
إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،
وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) ..

كانت تؤمن أن خلف كل تعب فرجًا
وخلف كل ضيق سعة،
وهذا وعد الله:
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ..

كبرت ..
ورأيت من الحياة ما رأيت،
وعرفت أن الصبر ليس كلمات تُقال،
بل ثبات لا ينهار..

حينها فهمتُ:



أَنَّ أُمِّي لَمْ تَكُنْ أَمَّا فَقَطْ،
بَلْ كَانَتْ مَدْرَسَةً فِي الصَّبْرِ .

اليوم:

كَلَّمَا ضَاقَتْ بِي الدُّنْيَا،
أَتَذَكَّرُ وَجْهَهَا وَهِيَ تَقُولُ:
"تَهُونِ يَا وَلَدِي"
فَأَهْدَأُ ..

لَأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:
(وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ،
وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا
وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ) ..

فَأَعْظَمُ النَّاسِ تَأْثِيرًا فِيكَ،
قَدْ لَا يَكُونُ أَكْثَرُهُمْ كَلَامًا،
بَلْ أَكْثَرُهُمْ صَبْرًا ..

والله تعالى أثنى على أهل الصَّبر فقال:
﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ ..

وإذا أردت أن تبرَّ أمك،
فلا تكتفِ بالكلمات،
بل خفف عنها ما تستطيع

فقد حملت عنك كثيرًا
دون أن تشعر ..

وصبرت عليك طويلًا
دون أن تُظهر ..



وصاياها القصيرة

لم تكن أُمِّي تُلقِي الخُطْبَ،
ولا تُطِيل المَوعِظَ،
كانت كَلِمَاتِهَا قَلِيلَةً،
لَكنَّهَا تَمْتَدُّ فِي العُمُرِ طَوِيلًا ..

قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ البَيْتِ تَقُولُ:
"قُلِ الدُّعَاءَ"
"اقْرَأْ: عَامَنَ الرَّسُولُ"

فَهِى تَقُولُ لِي: "انْتَبِهْ لِنَفْسِكَ"
جُمْلَةً صَغِيرَةً،
لَكنَّهَا عِنْدَ التَّأَمُّلِ تَعْنِي أَمْرًا عَظِيمًا،

فقد قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ..

وكانت وصيَّتها تختصر ذلك:

انتبه لدينك،

وأخلاقك،

وأصدقائك،

وقلبك ..

إذا غضبتُ قالت:

"اهدأ، ما هكذا تُحلُّ الأمور"،

وكانها تردَّد وصية النبي صلى الله عليه وسلم،

حين قال للرجل: (لَا تَغْضَبْ)،

وقوله صلى الله عليه وسلم:

(لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ،

إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي

يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ) ..

وكنْتُ أَظُنُّهَا جَمَلَةً عَابِرَةً،

حَتَّى رَأَيْتُ كَيْفَ

أَنَّ كَلِمَةً غَاضِبَةً

قَدْ تَهْدِمُ سِنَوَاتٍ ..

وَإِذَا رَأَيْتُنِي مُقَصِّرًا فِي صَلَاتِي

قَالَتْ بِهَدْوٍ:



"لَا تَتْرُكْ بَابَ اللَّهِ"،

لَمْ تَكُنْ تُكْثِرُ اللَّوْمَ،

لَكِنَّهَا كَانَتْ تَذَكِّرُنِي بِالطَّرِيقِ ..

وَإِذَا اخْتَلَفْتُ مَعَ أَحَدٍ قَالَتْ:

"سَامِعْ، اعْفُ، لَا تَحْقِدْ .."

وكَأَنَّهَا تَشْرَحُ قَوْلَهُ تَعَالَى:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾،

وَقَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ ..

كبرتُ ..
وجرّبتُ الحياة،
فاكتشفتُ أنَّ وصاياها
لم تكن كلماتٍ عابرة،
بل كانتِ عِلْمًا مُصَفًّى،
وحكمةً لا تُدرّس في الكُتب ..

وأعجبُ ما في وصاياها
أنّها لم تكن معقّدة،
لا فلسفة
ولا تنظير،
بل فطرةٌ نقيّة،
وقلبٌ يخافُ عليّ ..

اليوم:
أجدُ نفسي أَرَدُّ كلماتها لأبنائي
فأبتسم ..

كأنَّ وصاياها
لم تكن لي وحدي،
بل للأجيال التي بعدي ..

فلا تستهن بكلمة أمك،
قد تبدو بسيطة،
لكن ..

قد تكون نجاة لك في الدنيا،
وسبباً لرفعك في الآخرة ..
واكتب وصاياها قبل أن تنساها،
فالذكريات تُنسى،
لكن الكلمات الصادقة، لا تموت



أبي

الفصل الثاني
أبي.. هَيِّبَة وظل

هَيِّبَة وظل

صوته الذي كان يوقظني

أتذكر يومًا أيقظني فيه ..
فلم يكن أبي يحتاجُ إلى منبه،
كان صوته يكفي ..

في الفجر ..
قبل أن يكتملَ الضوء،
كان يناديني باسمي،
لا يصرخ،
لا يكرّر كثيرًا،
لكنَّ في صوته شيءٌ يجعل النوم يهرب ..

كنتُ أثقالُ أحيانًا،
أديرُ وجهي إلى الجدار،
وأتمنى دقيقة إضافية،
فيعود صوته، هذه المرة أقرب:
"قم يا بني، الصَّلَاة خير"،
فلم تكن مجرد كلمات،
بل كانت حياة .. 

وقد كان أبي يتمثل هذه الآية،
دون أن يشرحها، قال تعالى:
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾،
وقوله صلى الله عليه وسلم:
(مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ) ..

فهمتُ بعد سنوات:
أنَّ ذلك النداء المتكرّر
لم يكن مجرد إيقاظ،

كان تربيةً، نَجاةً،
وكان يمكنه أن يتركني،
وأن يقول: هو صغير ..
لكنَّ أبي لم يكن يربِّي بالراحة،
بل بالمسؤولية ..

أتذكرُ أني خرجتُ معه إلى المسجد،
الهواء بارد،
والشارع ساكنًا،
لكنَّ قلبي كان دافئًا بجواره ..
لا يتحدثُ كثيرًا في الطريق،
لكن صمته كان أبلغ ..

وكنْتُ أشعرُ أنِّي أمشي خلفَ رجلٍ
يعرف أين يتَّجه،
ويريد أن أتعلَّم الطريق،
وأنَّ تلك الخطوات الصغيرة
تُكتبُ لي طريقًا إلى الجنة ..

مرَّت السَّنوات، وكبرت ..

وصار المنبِّه يوقظني

للصَّلاة، للعمل،

لكنني كلَّما سمعتُ الأذان،

أو أردتُ العمل،



أسمع في داخلي صوت أبي،

فكان صوته يوقظ في الرَّجولة،

والالتزام، والثَّبات ..

اليوم:

أدركتُ أَنَّ أعظمَ مَا فعله أبي،
لم يكن أَنَّهُ أيقظني مِنَ النَّومِ،
بل أيقظني إِلَى الحياة ..

فالأب لا يربِّي بالكلمات الطَّويلة،
بل بالعادات الصَّغيرة المتكرِّرة،
وصوتٌ صادقٌ في طفولتك،
قد يبقى يوقظُ ضميرك طوالَ عمرك ..



يد الخشنة

كانت يدُ أبي مختلفة،
خشنة:

كأنها تعرف العمل
أكثر ممَّا تعرف الرَّاحة،
قويّة:

لكنها حينَ تُمسكُ بيدي
تتحوّل إلى أمان ..



كنتُ صغيرًا أمشي بجانبه،

فتغيّبُ يدي في كفه،

أشعرُ أنني أملكُ الدُّنيا،

لا لأنني قوي،

بل لأنني ممسوكٌ بيدٍ قويّة ..

كنتُ ألاحظ آثار التعب على أصابعه،
تشققٌ خفيفٌ،

لم أكن أفهم معنى ذلك،
كنتُ أظنه أمرًا عاديًا،

حتى كبرتُ ..

فلما كبرتُ ..

علمتُ أن تلك الخشونة

لم تكن قسوة،

بل أثرٌ سعيٍّ طويلٍ، وطلب للرزق،

قال سبحانه:

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ..

تلك اليد:

هي التي حملت أثقال الحياة،

وهي التي سعت وتعبت،

حتى تبقى أيدينا خفيفة ..

قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ،
خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) ..

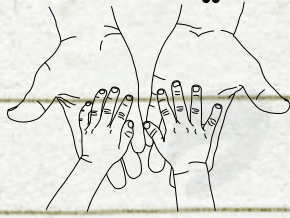
فعرفت حينها:
أَنْ تَعْبَ أَبِي، كان عبادة،
وَأَنْ تَلْكَ الْيَدَ كانت تطعمنا من حلال ..
هي التي صافحت الناس
وتحمّلت المسؤوليات
وعادت مساءً؛
لتربت على رؤوسنا ..

أذكر مرةً:
تعثرتُ وسقطتُ،
مدَّ يده سريعاً،
أقامني دون كلام،
ونفض الغبار عن ثوبي،

ولم يوبّخني ..
وإنما مجردُ يدٍ امتدّت
في الوقت المناسب ..

اليوم:

كلّما ضاقت بي الحياة،
أتذكّرُ تلك اليد،
وأفهمُ أن الأب



ليس مَنْ يُمْسِكُ بيدك دائماً،
بل مَنْ يُعَلِّمُكَ كيف تمشي،
ثمّ يتركك واثقاً ..

قد تبدو يدُ أبيك خشنة،
لكنّها ربّما أنعمتُ عليك،
بأيامٍ ناعمة ..

قبلها ما دامت قريبة،
فهي يدٌ دفعت عنك كثيراً،
دون أن تشعر ..



أَوَّلُ دَرِيسٍ فِي الرَّجُولَةِ

لم يجلس أبي يومًا ليقول لي:
"سأعلمك الرجولة"،

لم يفتح كتابًا،
ولم يُلِقِ محاضرة،
لكنني تعلمتُ ..

أذكرُ موقفًا صغيرًا،
لكنه بقيَ كبيرًا في داخلي ..

أخطأتُ في حقِّ أحدهم،
لم يكن خطأً جسيمًا،
لكنني كنتُ أبحثُ عن عذر ..

سَمِعَ أَبِي بالقَصَّةِ،
ناداني بهدوء،
لم يرفع صوته،
لم يهرجني أمام أحد،
قال:

"يا بني، هل ترضى أن يُفعلَ بك هذا؟"
سكتُ..

قال:
"إذن اذهب واعتذر" ..

فكأنما أيقظَ فيَّ مراثيًّا
كنتُ غافلاً عنه،
قال تعالى:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ..

شعرتُ بثقلٍ في صدري،
فالاعتذارُ صعب،
والنفسُ تكره أن تنحني ..

لكنه نَظَرَ إِلَيَّ نظرةً ثابتةً،
لا قسوةَ فيها، ولا تراجع،
فذهبتُ واعتذرتُ،

لم يمدحني، لم يصفق لي،
قال فقط:
"هكذا يكونُ الرَّجُلُ المسلم" ..

فهمتُ يومها:
أنَّ الرَّجُلَ ليسَ صوتًا مرتفعًا،
ولا سيطرةً على الآخرين،
ولا عنادًا يُسمَّى قوَّةً ..
قال سبحانه: ﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ
النَّاسِ﴾ ..

وعلمتُ أَنَّ الرَّجُولَةَ:
أَن تَعْتَرِفَ بِخَطئِكَ،
وَتَتَحَمَّلَ نَتِيجَتَهُ،
وَتَخْتَارَ الْحَقَّ
وَلَوْ كَانَ عَلَى نَفْسِكَ ..
قال سبحانه وتعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ
لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴾ ..

كبرتُ ..
ورأيتُ رجالًا كثيرين،
ولكنَّ ذلِكَ الدَّرْسَ الصَّغِيرَ
ظَلَّ كَبِيرًا بَدَاخِلِي،

فالأبُ الحقيقي:



لا يصنعُ منك شخصًا يُخيفُ النَّاسَ،
بل إنسانًا يَخافُ أن يظلم أحَدًا،

وأعظم دروس الرجولة،

قد تبدأ بكلمة:

"اذهب واعتذر" ..



نظرتُ الرضا

لم يكن أبي كثير المديح ..
لا يُغْدِقُ الكلمات
ولا يوزع الثناء بسهولة،
لكن كانت له نظرة،
تكفي عن ألف كلمة ..

أذكر أول نجاح حققته،
لم يكن عظيمًا في أعين الناس
لكنه كان كبيرًا في قلبي ..

عدتُ إلى البيت أحملُ الخبر،
تكلّمتُ بحماسٍ

وأنا أراقبُ وجهه،
ابتسم ابتسامةً لن أنساها ..
ثم نَظَرَ إليَّ نظرةً ثابتةً،
وقال:



"أحسنْتَ" ..

كلمةً واحدةً
لكنَّ في عينيه كان شيءٌ أكبر،
كان هناك "رضا"
وكان هناك فخرٌ ..

في تلك اللَّحظة
شعرتُ أنني بلغتُ قِمَّةً لا تُرى،
ليس لأنني نجحتُ،
بل لأنني رأيتُ الرِّضا
في عيني أبي ..

قال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾،

وكانَّ هذه الآية

تُعَلِّمنا أَنَّ رضا الوالدين

ليس أمرًا عابرًا

بل عبادة ..

مرَّت سنوات،

وحقَّقتُ أمورًا أعظم:

صعدتُ المنابر،

ونلتُ شهادات،

وسمعتُ تصفيقًا كبيرًا ..

لكنَّ شيئاً في داخلي
كان يبحثُ عن تلك النظرة
في وجه أبي 
تلك النظرة التي تقول:
"أنا راضٍ عنك" ..

أدركتُ حينها أنَّ رضا الأب
ليس مجردَّ شعورٍ عابرٍ،
بل بركة تسكنُ الطريق ..

وأدركتُ أنَّ أعظمَ المكاسب
ليست في الألقاب،
بل في دعوةٍ صامتةٍ،
ونظرة رضا ..

وبعدها:

إذا رأيتُ عينيه تلمعان حين أتحدثُ،
أشعرُ أنني ما زلتُ ذلك الابن
الذي ينتظرُ إشارة قبول ..

قال تعالى:

﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾
فكلُّ نجاحٍ بعد ذلك
كنتُ أشعرُ أنه
جزءٌ من دعائه ..

فاجتهد أن تفوز برضا أبيك،
فهو بابٌ من أبواب التوفيق
وإن رأيتَ في عينيه رضا
فاحمدِ الله تعالى،
فقد أعطيتَ كنزاً، لا يُشترى ..



صمتة المربي

لم يكن أبي كثير الكلام
يجلس بيننا طويلًا،
ويقول قليلًا ..

كُنَّا أحيانًا نظنُّ أَنَّ الصَّمتَ غيابٌ،
لكنَّنا لم نكن نفهم أَنَّ صمته
حضورًا مِن نوعٍ آخر ..

فإذا أخطأنا:
لم ينهل علينا بكلماتٍ غاضبةٍ
كان ينظر إلينا، ويوجِّهنا
وكان ذلك التَّوجيه خفيفًا لطيفًا،

أبلغ من خطبة تُقال
وكان ذلك يكفي، لنراجع أنفسنا ..

قال الله تعالى:
﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾،
ففهمتُ:

أَنَّ قَلَّةَ الكلام،
ليس نقصًا
بل وعيٌ
بأنَّ كلَّ كلمةٍ محسوبة ..

وقال النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم:
(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ،
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)،
وكان أبي،

يربِّي بهذا الحديث
دون أن ينطق به ..

أذكر مرةً أسأتُ التصرف في المجلس،
توفعتُ منه عتابًا طويلًا
لكنه لم يقل شيئًا كثيرًا،
وإنما قال بعد صمتٍ:
"كنتُ أظنك أفضل من هذا"
فوصلتني رسالته التي أرادها مباشرةً،
وبقيتُ في أذني سنوات ..

تعلمتُ من صمته:
أنَّ الهيبة لا تُصنعُ بالصراخ،
وأنَّ التربية ليست كثرة أوامر،
بل وضوح مبدأ ..

كان يتركُ لنا مساحةً نفكر،
نخطئ، ونتعلم،
لكنه كان حاضرًا دائمًا،
كجدارٍ خلفنا: يعلمنا ويرشدنا ..

كبرتُ ..

وصرتُ أرى كيف أنَّ بعضَ الصَّمتِ،
أبلغُ من ألفِ نصيحةٍ،
وأنَّ الصَّمتَ الذي يحملُ قيمةً،
أعمقُ من الكلامِ الذي يملأُ الفراغَ ..

اليوم:

فهمتُ أنَّ أبي لم يكن صامتًا
لأنَّه لا يملكُ كلامًا،
بل لأنَّه كان يملكُ حكمةً ..

فليس كلُّ صمتٍ ضعفاً،
بعضُ الصَّمتِ تربيةٌ ..

وإذا كان في حياتك أبٌ قليلُ الكلامِ،
فأنصتِ لِمَا بين كلماته،
فربَّما هناك دروسٌ .. لا تُقالُ مرَّتين ..



تَعَبُ رَا يَشْتَكِي

لم أكن أرى تَعَبُ أَبِي
لأنه لم يكن يُعرضه علينا،
يخرجُ باكراً
ويعودُ متأخراً،
وفي وجهه بقايا يومٍ طويلٍ ..

نسأله:

"تعبتَ يا أبي؟"

فيجيبُ سريعاً:

"لا .. الحمد لله"

كأنَّ التعبَ لا يعرفُ طريقه إليه ..

كنتُ أراه أحياناً يجلسُ بصمتٍ
يسندُ ظهره إلى الجدار،
ويغمضُ عينيه قليلاً،
ثمَّ إذا اقتربَ أحدنا
اعتدلَ في جلسته
واستقبلنا بابتسامته،
كأنَّ الرَّاحةَ مؤجَّلة،
إلى بعد أن نطمئن ..

قال سبحانه:
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴾،
فعلمتُ:
أَنَّ التَّعبَ سُنَّةُ الحياة،
لكنه، كان يُخفيه ..

لم يكن يشتكي من العمل
ولا من الناس،
ولا من ضيق الأيام،
كان يعتبر ذلك جزءاً من مهمته ..

قال الله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾،

وكان أبي:

يصبرُ

دون أن يعلن صبره ..

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:
(عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،
وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،
إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،
وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) ..

كبرتُ، وعرفتُ:
أنَّ المسؤوليةَ ثقيلةٌ،
وأنَّ الخروجَ كلِّ يومٍ ليس نزهةً،
إنَّما هو السَّعي لأجل بيتٍ مستقرٍ
فهو في (معركةٍ صامتةٍ) ..

وعلمتُ:
أنَّ سعي أبي
لم يكن مجردَ عملٍ،
بل كرامةً ..
قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:
(لَا نَ يَأْخُذُ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى
ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا،
فَيَكْفُ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ
أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ) ..

حينها :

رأيتُ تَعَبُ أبي

رأيتُهُ في خطوطِ وجهه،

في صمته الطَّويل،

في دعائه قبل النَّوم ..

أبي ..

لم يكن بطلاً في قصَّة،

لكنَّهُ كان بطلاً في بيتٍ،

حَمَلَ عَنَّا هَمومًا

لم نكن نعلمُ بوجودها،

وواجهه أشياء .. لكي لا نواجهها نحن ..



فإن كان أبوكَ مَا زال يسعى لأجلك،
فقدَّر سعيه ..

وإن اشتعلَ الشَّيبُ في رأسه،
فاعلم أنَّ فيه سنوآتٍ
دُفِعتَ ثمنًا لراحته ..



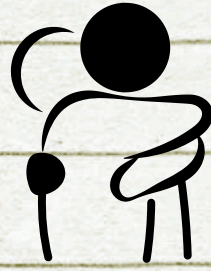
مواقف را أنساها

ليست كلُّ المواقف عظيمة في ظاهرها
لكنَّ بعضها يسكنُ القلب ولا يخرج ..

أذكرُ يومًا:
كنتُ خائفًا من أمرٍ
كبيرٍ في نظري،
امتحان ..
أو قرار ..
أو مواجهة لا أجرؤ عليها ..

جلستُ صامتًا،
اقترب أبي
جلس بجانبني

وقال بهدوء:
"واجه، وأنا معك" ..
كلمتان فقط،
لكنهما أزاحتا جبلاً عن صدري ..



وأذكرُ يومًا:
تعثرتُ في طريقي
خسارة مؤلمة،
إحباطٌ ثقيل،
فقال لي مشجعًا ومحفزًا:
"خسرتَ؟ إذن تعلّمتَ"
فأعاد لي ثقتي ..

ففهمتُ وعلمتُ:
أنَّ الأخطاء ليست نهاية الطريق،
بل فرصة للتعلّم والنمو ..

وفي يومٍ آخر:
أخبرني أحدهم
أنَّ أبي دافعَ عني في مجلسٍ
لم أكن حاضراً فيه،
وقال عني:
"أنا أعرفُ ابني" ..



شعرتُ يومها:
أنَّ ظهري صار أقوى،
وأنَّ هناك مَنْ يعرفني
ويثقُ بي،
حتى وإن أخطأتُ ..

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ ﴾

والأب الصادق يعرف متى يدافع؟
ومتى يترك ذلك؟
لتتعلم الدرس بنفسك ..

ليست المواقف بعددها
بل بأثرها،
كلمات قليلة،
لكنها شكّلت شخصيتي،
ثقة منحني إياها
فصرتُ أبحثُ أن أكون أهلاً لها ..

اليوم:

أستعرضُ تلك اللحظات،
فأدركُ أنَّ أبي لم يكن مجرد والدٍ
بل كان سياجًا خفيًا،
يحمي روحي من الانكسار..

فوجود أبي يقول لك:

"أنا معك" نعمة لا تُقاس .. 

فإن كان في حياتك أبٌ كذلك،
فاشكره قبل أن تبحثَ عن صوته في الذكريات ..



حِينَ كُنْتُ مَدِيرًا

لم تكن تلك الأيام
عادية في حياتي،
أن أكون مديرًا،
ويكون أبي
أحد المعلمين عندي ..

موقف يختبر القلب،
ويعلم الروح
معنى التوازن ..

كنتُ أجلسُ على كرسي الإدارة،
وأراه يدخلُ عليَّ،
بهيبته التي لا تزول،
وبمكانته التي لا تتغير ..

إنه أبي: 
لكنه في العمل
معلم،

قال لي يومًا بهدوء:
"عاملني كأبي معلم" ..

كانت كلمةً بسيطةً،
لكنها كانت درسًا عظيمًا،
تذكرتُ حينها قول الله تعالى:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ ﴾،
فالعدل، لا يعرف قرابة،
ولا يميل لعاطفة ..

حاولتُ:

أن أوازن بين قلبي، وواجبي

أن أكون ابنًا بارًّا

ومديرًا عادلًا،

فلا أرفع صوتي عليه

لأنه أبي،

ولا أميزه عن غيره

فتذكرتُ قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ..

كنتُ أراه في عمله:

قدوةً قبل أن يكون موظفًا،

يحبّه الجميع

منضبطًا،

مخلصًا

لا يتأخر

ولا يقصر

فأتعلم منه
كما كنتُ أتعلم منه وأنا صغير ..

وفي المواقف الرَّسْمِيَّة
كنتُ أتعامل معه
بما يقتضيه النظام
وفي داخلي:
أتعامل معه بكلِّ الحب
فأتذكرُ قوله الله تعالى:
﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ..
فالإحسانُ لا يتوقف عند البيت،
بل يمتد إلى كلِّ موقف ..

كان أبي:
يساعدني على ذلك
ولا يحرجني،
ولا يطلبُ مني استثناء،

بل يثبت لي أَنَّ التَّربيةَ
تظهر في كلِّ المواقف الصَّعبة ..

تعلَّمتُ منه يومها:
أَنَّ العدلَ عبادة،
وَأَنَّ البرَّ لا يعني المجاملة،
وَأَنَّ القلوب الصَّادقة
تستريحُ للحقِّ ..

فليس أصعب مِن أن تجتمع
العاطفة مع المسؤولية،
لكنَّ الأَجمل:
أن تنجح في الجمع بينهما ..



حين فارقني (أرحم الله تعالى)

يوم وفاته:
لم يكن ذلك يومًا عاديًا،
كان يشبه كلَّ الأيام،
حتى جاءت اللحظة
التي قسمت عمري إلى نصفين:
قبلها، وبعدها ..

خرج بعد صلاة العشاء من المسجد،
كما كان يفعل دائمًا،
خطوات هادئة
وقلبٌ عامرٌ بالصَّلاة،
لم أكن أعلم،
أنَّ ذلك اليوم كان آخر مرَّة أراه فيها ..

جاء الخبر كالصّاعقة،

حادث ..

سيارة ..

وأبي ..

توقّفت الكلمات،

وتكلّمت الدّموع

اقتربتُ منه،

كان الجسدُ ساكنًا

لكنّ ملامحه كانت مطمئنة ..

كأنّ الصّلاة

كانت آخر ما ودّع به الدُّنيا

فتذكّرتُ قول النّبي صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) ..

وتذَكَّرْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُضِيعُ مَنْ كَانَ مَعَهُ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي
كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ..

لم أبكِ - فقط - لأنه مات،
بكيتُ لأنَّ السَّندَ انكسر
والظِّلُّ رَحَلَ،
والغالي فقدناه ..



ولكن: وسط الألم
تذَكَّرْتُ وصيته
حين قال لي قبيل وفاته:
"أنا راضٍ عنكم" ..

كلمة عظيمة:
خَفَّتْ عَنِّي وَجَعًا لَا يُوصَفُ،

قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ ..

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(رَضِيَ الرَّبُّ فِي رِضَى الْوَالِدِ،

وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ) ..

أدركت حينها:

أَنَّ أعظمَ مَا يتركه الأب

ليس المال

بل الرِّضا ..

جلستُ بعده طويلاً:

أسترجعُ صوته،

نصائحه،

هيئته ..

وكَلَّمَا اشتدَّ الحزن،

علمتُ أَنَّ الصَّبْرَ طريقُ نَجاةٍ،

وتذكّرتُ قول الله تعالى:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ
رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾
وقول النبي صلى الله عليه وسلم:
(إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) ..

وعلمتُ:

أن موته ليس نهاية الحكاية،
بل بداية مسؤولية،
أن أكون امتداداً له،
ودعاء لا ينقطع عنه ..

قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:
إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ،
أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ..

اليوم:

كلّما دعوتُ له

شعرتُ أنّه لم يغبْ،

وكلّما سلكتُ طريقًا صالحًا

شعرتُ أنّي أكملُ ما بدأه ..

فالموت، لا يأخذ منّا الأحيّة فقط

بل يترك لنا أمانة،

فكن لوالدك بعد موته:

دعاءً حيًّا، وعملاً صالحًا،

وسيرةً تحكى ..

ولا تؤجّل البر،

فبعضُ الفراق

يأتي بلا وداع ..

رحمك الله يا أبي،
وأسكنك فسيح جناته
فَمَا زال ذكراك تعلّمني،
وكلماتك ترشدني
حتى نلتقي، حيث لا فراق ..



بين

الفصل الثالث بين قلوبيهما

قلوبيهما

خلافاتهما الجميلة

لم يكن الخلاف بينهما
يُخيفني طويلاً ..
كان يبدأ كأَيِّ خلاف،
نبرة صوت يرتفع قليلاً،
ورأي يُقابل رأياً
وصمتٌ يسبقُ الحسم ..

كُنَّا نظنُّ في صغرنا:
أنَّ الخلاف يعني خللاً،
وأنَّ الحُبَّ لا يجتمع
مع اختلاف ..
لكنني كنتُ أتعلَّم،
دون أن أشعر ..

وكان لكلٍّ منهما قلب
يريدُ الخير،
ولكن بطريقته ..

أمي تتكلم بقلبها،
تدافع بحنان،
وترى الأمور
بعين الرحمة ..

وأبي يتكلم بعقله،
يحزم الأمر،
ويريد لنا القوة
قبل الراحة ..

أذكر مرةً اختلفا في أمرٍ ما
كنتُ أتابع بصمت،
انتهى النقاش ..

وجلسا بعدها يتحدثان
كأنَّ شيئاً لم يكن،
ضحكةٌ قصيرة،
وكوب شاي،
وصوتٌ خفيفٌ مِنَ الألفة
يملاً المكان ..

فمرَّ في قلبي قول الله تعالى:
﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ..

يومها تعلّمتُ:
أنَّ المعروف احترامٌ وأدبٌ
حتى في الخلاف ..

وَأَنَّ الْخِلَافَ
لَا يَعْنِي نَهَايَةَ الْوُدِّ،
كَانَ بَيْنَهُمَا احْتِرَامٌ
لَا سَخَرِيَّةَ، لَا تَحْقِيرَ
لَا كَشْفَ لِلْأَسْرَارِ أَمَامَنَا
فَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ..

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾،
أَدْرَكْتُ:

أَنَّ السَّكْنَ لَا يَعْنِي غِيَابَ الْخِلَافِ،
بَلْ وَجُودَ الرَّحْمَةِ أَثْنَاءَهُ ..
كَبُرَتْ ..

وَرَأَيْتُ بَيُوتًا تَنْهَارُ،

لأنَّ أصحابها
لم يتعلَّموا فن الاختلاف
وعندهم قسوة ..

وعرفتُ الفرق:
بين مَنْ يختلف ليُصلِح
ومَنْ يختلف ليُغلب،
وتذكَّرتُ قول الله تعالى:
﴿ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ
اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۖ ﴾ ..

وفهمتُ:
أنَّ أعظم ما ورثناه
ليس فقط حُبِّهما
بل طريقة حُبِّهما ..



فالاخلاف في البيت ليس عيبًا
لكن طريقة الخلاف
هي التي تصنع الفرق ..

وإذا رأيتَ والديك يختلفان باحترام،
فاعلم أنك تتعلّم درسًا عميقًا في الحياة
دون أن تشعر .



طبرهما علينا

نحن الأبناء:
لم نكن سهلين،
ولا هادئين دائماً
كنا نخطئ،
ونجادل،
ونرفع أصواتنا أحياناً
ونظن أننا على صواب
ومع ذلك:
يصبران ويتحملان ..

أذكرُ في مرحلة المراهقة:
عنادٌ لا مبرر له
حساسية زائدة
رغبة في الاستقلال بأي ثمن ..

كنتُ أَظُنُّ أَنَّنِي أفهم الحياة،
وأَتحدَّثُ بثقةٍ كبيرةٍ
وكان يمكنهما:
أن يكسرا ذلك العناد بقسوة،
أو يتركانني أغرقُ في اختياراتي
لكنهما: اختارا الصَّبْرَ ..

كانت أُمِّي تمتصُّ غضبي بصمت،
كان قلبها أوسع
مِن كُلِّ انفعالاتي،
فكانت:
تكظم،
وتعفو،
وتحتسب ..



فأتذكّر قول الله تعالى:
﴿وَالْكََاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ..

وكان أبي يوجهني بهدوء،
لا يحطّم كبريائي
ولا يتركني أخطئ بلا تنبيه،
فأرى فيه معنى قول الله تعالى:
﴿ اذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ..

لم يتخلّيا عني
حين صعبتُ،
ولم يقولوا:
"دعوه يتعلّم وحده"
بروح باردة ..

بل كانا صبرًا حيًّا
مصحوبًا بدعاءٍ
ومتابعةٍ، وحرصٍ،
ونصحٍ متكرّرٍ
وقلبٍ لا يمل

فتذكّرتُ قول الله:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ ..

مرّت تلك المرحلة:

ونضجتُ قليلًا،

فنظرتُ إلى نفسي،

في تلك المرحلة

وتعجّبتُ:

كيف احتملاني؟

كيف لم يملأ؟

كيف لم يياسا؟

تذكّرتُ:

أنّ هذا هو طريق الأنبياء،

قال الله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ .

فَالصَّبْرُ لَيْسَ ضَعْفًا،
بَلْ مَقَامٌ عَظِيمٌ ..

اليوم:

حين أتعامل مع أبنائي
أفهمُ معنى الصَّبْرِ الحقيقي:
أن ترى الخطأ
وتستطيعُ العقاب
لكن تختار التدرُّج،
أن تسمعَ كلمة تؤلمك
وترد بكلمة تُصلح
وأن تنتظر النُّضج،
ولا تستعجله ..

وتذكَّرتُ قول النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(لَمْ يَدْخُلِ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ،
وَلَمْ يُنْزَعْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ) ..

صبرهما علينا
لم يكن ضعفاً،
بل قوّة مضبوطة،
لم يكن استسلاماً
بل ثقة أن الأيام ستهدّينا ..

فإذا تذكّرت أخطاءك القديمة
فلا تضحك فقط،
بل احمِدِ الله تعالى
على والدين صبرا عليك
حتى صرتَ ما أنتَ عليه ..



مدرسة البيت

لم يكن بيتنا كبيرًا،
ولا فخماً
لكنه كان مدرسة
نتعلم فيه دون سبورة،
ودون جرس يعلن الحصّة
ودون شهادات ..

في البيت تعلّمتُ:
أنّ السّلام أوّل الكلام،
فأتذكّر قول النّبي صلى الله عليه وسلم:
(أَفْشُوا السّلامَ بَيْنَكُمْ) ..



وتعلّمتُ:
أنّ الكبير يُحترم،

فيمرُّ في قلبي قوله عليه الصَّلاة والسَّلام:
(لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا) ..

وتعلَّمتُ:

أَنَّ الضَّيْفَ يُكْرَمُ،

فكَأَنَّ أَبِي يُطَبِّقُ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ) ..

وتعلَّمتُ:

أَنَّ الْخَطَأَ لَا يُبْرَرُ، بَلْ يُعْتَذَرُ عَنْهُ،

فَأَفْهَمَ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ..

لم تكن هناك لافتات على الجدران،

لكن: كل زاوية في البيت

كانت تقول لنا شيئاً،

وتغرس فينا قيمة ..



كانت أُمِّي ..

تدرِّسنا الرَّحمة:

حين تضع الطَّعام لجارٍ محتاج

فأتذكَّر قول الله تعالى:

﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴾ ..

وحين تدعو لقريبٍ غائب،

أو تعفو عن إساءة،

فأرى فيها أثر قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ) ..

وكان أبي ..

يدرِّسنا الأمانة،

بمواقف لا تُنسى ..

حين يرفض مالًا مشبوهاً

فأتذكَّر قول الله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾ ..

وحين يفي بوعدٍ
ولو كان بسيطاً،
فيمرّ في قلبي قول ربي:
﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ ..

وحين يلتزم بكلمته
مهما كلفه الأمر،
فأتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم:
(آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ،
وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ) ..

لم نكن نشعر أننا نتعلم،
لكننا كنا نتشكّل:

نقلدهم دون قصد،
نردّد كلماتهم دون وعي،
نحمل ملامحهم في قراراتنا ..

كبرنا ١١١١١ ..

ودخلنا مدارس كثيرة،
وتعلمنا علومًا متعددة،
لكن بعض ما تعلمناه هناك، نسيناه ..

أما ما تعلمناه في البيت
فبقي؛

لأنه لم يكن معلومات
بل سلوكًا حيًا ..

فتذكرت قوله سبحانه تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ
مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ..

اليوم:

أفهم أن التربية

ليست في كثرة النصائح،

بل في صدق المثال،

وَأَنَّ الْبَيْتَ الَّذِي يَعِيشُ الْقِيَمَ
لَا يَحْتَاجُ أَنْ يَشْرَحَهَا كَثِيرًا ..

فأعظم مدرسة:

هي التي ترى فيها مَا يُقَالُ،
فإن أردت أن تُنشئَ جيلًا صالحًا
فابدأ ببيتك،



قال سبحانه وتعالى:

﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ..

فالتربية مسؤولية،

وليست كلمات ..

فالأبناء لا يسمعون فقط،

بل يرون،

ويحفظون،

ثمَّ يُصْبِحُونَ

صورةً منك ..



رسائل لم أقرأها

هناك كلمات كثيرة ..
بقيت في صدري،
كنت أظن أن الوقت واسع
وأن الفرصة لا تنتهي،
وأن الغد يشبه اليوم
ولكن الأيام تمضي سريعًا ..

يا أمي:
كنت تقولين:
"احرص على نفسك"
فأرد باختصار وأمضي،
لم أقل لك يومًا:
"كم كانت كلماتك تحميني" ..

ولم أقل لك:
"إنني كلما ضعفتُ،
تذكرتُ دعائك فثبتتُ" ..

فاتذكر قول الله تعالى:
﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾،
كأن الدعاء الذي أمرني الله به،
كان دعاء كنت أعيشه
قبل أن أنطقه ..

يا أبي:
كنت تنصحنِي بصوتٍ هادئٍ
وأناقشك بثقة الشباب،
لم أقل لك يومًا:
"إنني بعد سنواتٍ اكتشفتُ
أن رأيك كان الأصديق"

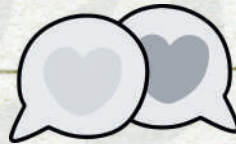
ولم أقل لك:

"إنني كلما وقفتُ أمام قرارٍ صعب،
بحثتُ عن صورتك في ذهني" ..

فأتذكرُ قول الله تعالى:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾
كنا نظن:

أن الحب مفهومٌ ضمناً،
وأن الشكرَ لا يحتاج تصريحاً،
لكن بعض المشاعر يجبُ أن تُقال:



بصوتٍ واضح
وقلبٍ حاضر ..

قال تعالى:

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْ أَلَدَيْكَ﴾
فالشكر ..

ليس إحساساً صامتاً فقط،

بل كلمة،

وموقف،

وتعبير ..

وكان النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم يقول:

(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ) ..

هناك أشياء بسيطة،

كنتُ أتمنى أن أفعلها أكثر:

أن أجلس أطول

أن أستمع أكثر

أن أعتذر أسرع

أن أقول: "أحبُّكما، بلا مناسبة" ..



فإن كنا بقربي اليوم:

فما زال الباب مفتوحًا،

وإن كان أحدهما قد رحل،

فالدُّعاء رسالة لا يقطعها الغياب ..

فلا تَوَجَّلْ كلمةً طيبةً لوالديك

ولا تنتظر ظرفاً مثاليّاً،

قلها الآن



اشكر الآن

اعتذر الآن ..

فبعضُ الرِّسائلِ:

إن لم تُقل في وقتها،

بَقِيَتْ ذكْرى

لا تصل ..



دروس

الفصل الرابع
دروس من العمر

من العمر



البرُّ ليس كلمات

كنا نظنَّ أنَّ البرَّ
هو قبلةٌ في الرأس،
أو كلمة طيبة في مناسبة،
أو هدية في يومٍ عابر ..

ثمَّ كبرنا ..
واكتشفنا أنَّ البرَّ
أعمق من ذلك ..

البرُّ ليس صورةً تلتقط،
ولا منشورًا يُكتب،
ولا عبارةً تُقال
ولا مشهدًا يُعرض أمام الناس ..

البر:

أن تسمع حديثهما، ولو تكرر،

وهنا أتذكر قول الله تعالى:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ ۖ ﴾

حتى الضجر الصغير، ممنوع

فكيف بما هو أكبر؟

البر:

أن تتحمل مزاجهما

حين يثقلهما العمر،

وهنا أفهم قوله تعالى:

﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ ۖ ﴾

فإن الله يخبرك أنه:

ستأتي أياماً

يحتاجانك فيها أكثر

فكن على قدرها ..

البر:

أن تجيب الاتصال

بصوتٍ مشتاقٍ ..

لا متثاقل،

فأرى في ذلك تطبيقًا لقوله تعالى:

﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾،

فالكلمة ليست مجرد صوت،

بل شعورٌ يصل ..

البر:

أن تلاحظ ما لا يُطلب،

أن ترى التعب في ملامحها

قبل أن يشتكيا

فأتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ)،

وهم أولى الناس بذلك الخير ..

البر:

أن تبادر بالسؤال
قبل أن ينتظرا
أن تختار لهما من وقتك أفضله،
لا بقاياه ..

قال الله تعالى:

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾

وأعظم ما تحب:
وقتك، وراحتك، وانتباهك ..

كنت أظن أنني بار،

لأنني لا أسيء،

ثم فهمت:

أن البر: أن تحسن ..

وأن هناك فرق كبير

بين الامتناع عن الخطأ

وبين صناعة السعادة ..

البر ليس موسمًا،
ولا لحظةً عابرةً،
ولا مرحلةً تنتهي،
بل هو علاقة مستمرة
مادام القلب ينبض ..

وإذا رحلا:
فلا ينتهي البر
بل يحول إلى دعاء
وصدقة
واستغفار لا ينقطع،
قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:
إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ،
أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ..

فَعَرَفْتُ:

أَنَّ الْبِرَّ لَا يَمُوتُ،

بَلْ يَتَغَيَّرُ شَكْلُهُ ..

فَلَا تَكْتَفِ بِأَنْ تَقُولَ:

"أَنَا أَحَبُّكُمْ"

أَرْهَمَا الْحُبَّ:

وَقْتًا

وَاهْتِمَامًا

وَصَبْرًا

وَقُرْبًا ..

فَالْبِرُّ لَا يُقَاسُ بِالْكَلِمَاتِ،

بَلْ بِمَا تَفْعَلُهُ

حِينَ لَا يَرَاكَ أَحَدٌ ..



لا تَوَجِّلْ الاعتذار

أحياناً نرفع أصوتنا ..

ثم نقول في أنفسنا:

سنعتذر لاحقاً ..

نغضب:

ثم نقنع أنفسنا أن الأمر بسيط

وأن الأيام ستصلح ما أفسدته اللحظة،

لكن: بعض اللحظات لا تعود ..

أذكر مرةً ناقشتُ أبي بحدّةٍ

لم أقصد الإساءة،

لكن كلماتي كانت قاسية

خرجتُ من المجلس منتصراً في نظري،

وخاسراً دون أن أشعر ..

رَأَيْتُ فِي عَيْنِيهِ
صَمْتًا مُخْتَلَفًا،

لَمْ يَنْهَرْنِي
لَمْ يَجَادِلْنِي
لَكِنَّ قَلْبِي لَمْ يَهْدَأْ ..

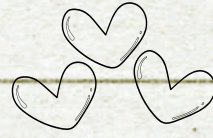
تَرَدَّدْتُ سَاعَاتٍ ..
الْكَبْرِيَاءُ يَقَاوِمُ،
وَالنَّفْسُ تُبَرِّرُ ..

ثُمَّ تَذَكَّرْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾،

فَعَرَفْتُ:
أَنَّ الْخَيْرَ لَا يُؤَجَّلُ،
وَأَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَنْتَظَرُ ..

ثم ذهبتُ إليه،

وقلتُ بصوتٍ خافتٍ:



"سامحني"

نَظَرَ إِلَيَّ، وابتسم، وقال:

"سامحتك، ورضيتُ عنك" ..

في تلك اللحظة

شعرتُ براحةٍ لا تُشترى

وتذكرتُ قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)،

فالخطأ، طبيعة البشر،

لكن الرجوع هو علامة النبَل ..

الاعتذار لا يُنقصك

بل يرفعك

ولا سيما مع والديك،

فهما أكثر الناس استحقاقاً لكلمةٍ تداوي ..

كم من كلمة قيلت في غضب،

ثم ندم صاحبها

حين لم يجد فرصة ليعتذر؟

كم من قلب كان ينتظر

"سامحني"

ولم يسمعها؟

فلا تؤجل الاعتذار

قد يأتي يوم

تبحث فيه عمن تعتذر له، ولا تجده ..

فالكبرياء بينك وبين والديك

حاجزٌ ثقيل،

اكسره سريعًا،

وقل:

"أخطأت" ..

والكلمة البسيطة
قد تُنقذ قلبًا،
وقد تُصلحُ علاقة،
وقد تفتح بابًا مِنَ الرِّضا

فكُن منهم، واعتذر،
قبل أن تقول الأيام:
"فات الأوان" ..



الزَّمن لا يعود

كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ الْأَيَّامَ طَوِيلَةٌ
وَأَنَّ الْجُلُوسَاتِ سَتَتَكَرَّرُ،
وَأَنَّ الضُّحُكَاتِ مَحْفُوظَةٌ فِي الْغَدِ،
لَكِنَّ الزَّمنَ يَمْشِي بِهَدْوٍ،
وَلَا يَلْتَفِتُ ..

أَذْكُرُ بَيْتَنَا الْقَدِيمَ،
أَصْوَاتَنَا فِيهِ
ضِحْكَةُ أُمِّي مِنَ الْمَطْبَخِ،
خَطَوَاتُ أَبِي فِي الصَّلَاةِ ..
كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْمَشْهَدَ دَائِمٌ
ثُمَّ تَغَيَّرَ كُلُّ شَيْءٍ ..



كبرنا ١١١١ ..

تفرقنا،

تبدلت البيوت،

واختلفت المواعيد

وبقيت الذكريات ..

كنت أقول:

سأجلسُ معهما غدًا

سأستمعُ أكثرَ لاحقًا،

سأطيلُ الحديثَ حينَ أفرغ ..

لكنَّ الغد، لا ينتظر دائمًا

وبعض الفرص

تمرُّ مرةً واحدةً ..

هنا تذكّرتُ قول الله تعالى:
﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾
وكان الله ينبهنا:
أن الوقت يمضي،
وأن الخسارة فيما نضيّعه منه
وأن بعض ما نضيّعه
لا يعود أبدًا ..

الزمن لا يعود،
ليعيد لك لحظةً فانت،
ولا ليصحح كلمةً لم تُقل
ولا ليمنحك ساعةً إضافيةً
مع مَنْ تُحب .. ♡

اليوم:

حين أجلس معهما
أحاول أن أكون حاضرًا حقًا،
أغلقُ مَا يشغلني،
وأسمعُ جيدًا
وأبتسمُ بصدقٍ ..

وهنا تذكّرتُ قولَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
(نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ:
الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ)،
وأدركتُ:

أنَّ الفراغَ الذي أُوَجِّلُ فيه
قد يكونُ نعمةً لن تتكرَّرُ ..

فَعَرَفْتُ حِينَهَا:
أَنَّ اللَّحْظَةَ الَّتِي أَعِيشُهَا الْآنَ
لَيْسَتْ عَادِيَّةً،
قَدْ تُصْبِحُ غَدًا ذِكْرِي أَشْتَاقُ إِلَيْهَا،
وَلَا أُسْتَطِيعُ اسْتِرْجَاعَهَا ..
فَلَا تُؤَجِّلْ جَلْسَةً مَعَ وَالِدَيْكَ،
وَلَا تَخْتَصِرْ حَدِيثَهُمَا،
عَشِ اللَّحْظَةَ كَامِلَةً
وَلَا تَجْعَلْ حُضُورَكَ مَعَهُمَا
جَسَدًا بِلَا قَلْبٍ،
فَالزَّمْنُ لَا يَعُودُ ..

وَالذِّكْرِيَّاتُ:
إِمَّا أَنْ تَكُونَ
دَافِئَةً، فَتُسَعِّدَكَ
أَوْ مَوْجَعَةً، فَتَوَلِّمَكَ ..



ادّخر دعاءهما

في زحام الحياة
نبحثُ عن الواسطة،
ونبحثُ عن العلاقات،
ونبحثُ عن الأبواب المفتوحة،
وننسى بابًا عظيمًا
مفتوحًا في بيوتنا:
"دعاءُ الوالدين" ..



كم مرّةٍ خرجتُ مِنَ البيتِ،
وامّي تقول:
"الله يوفّقك"،
وأبي يقول:
"الله يسهّل أمرّك" ..

كلمات قصيرة،
لكنها كانت تمشي أمامي،
تمهّد الطريق،
وتفتح ما لا يفتح،
كنت أظنها عبارات عادية ..
خرجت مرة:

دون أن أسمع تلك الدّعوات،
شعرت أن شيئاً ناقصاً،
ليست الكلمات نفسها،
بل الأثر،
قلب صادق، يتمنى لك الخير
أكثر مما يتمناه لنفسه ..

تذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم:
(ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ:
دَعْوَةُ الْوَالِدِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ) ..

فَعَرَفْتُ:

أَنَّ هُنَاكَ أَبْوَابًا لَا تُفْتَحُ بِالْمِفَاتِيحِ

بَلْ بِالذُّعَاءِ،

دَعْوَةٍ فِي لَحْظَةٍ رِضَا،

قَدْ تَغَيَّرَ مَسَارُ حَيَاتِكَ،

وَدَعْوَةٍ فِي سَجُودٍ خَفِيٍّ

قَدْ تَدْفَعُ عَنْكَ بَلَاءً لَا تَعْلَمُهُ ..

نَحْنُ لَا نَرَى أَثَرَ الذُّعَاءِ مُبَاشَرَةً

لَكِنَّا نَعِيشُ نَتَائِجَهُ،

تَيْسِيرًا هُنَا،

وَحِفْظًا هُنَاكَ

وَانْشِرَاحًا فِي وَقْتٍ

ضَاقَ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ ..

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾

اليوم:

فهمتُ أَنَّ أعظمَ مَا يمكنُ أَنْ أدَّخره

ليس مَالًا،

وليس منصبًا

بل دعوةٌ صادقة،

وَأَنْ أحرصَ على رضاهما،

ليخرج الدعاءُ مِنْ قلبٍ مطمئنٍ ..

وإن رحلا:

فدعاؤك لهما

هو الادِّخار المتبادل

تدعو لهما بالرحمة

فيدَّخرُ الله لك الأجر،

فتعيش قول النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم:

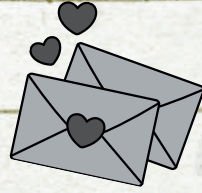
(إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ:

إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ،

أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ) ..

فيكون الدُّعاء بينك وبينهما
عطاءً لا ينتهي ..

فاحرص أن تخرج من بيتك
وقد أخذتَ دعاء والديك،



فبعضُ الأبواب

لا تُفتحُ بالقوَّة،

ولا بالذكاء،

بل بدعوةٍ صادقةٍ

من قلبٍ يُحبُّك ..



اجعل أبنائك يرون برك

الأبناء لا يتعلمون من النصائح وحدها ..
بل من المشاهدات التي يعيشونها،
قد تقول لابنك:
"برّ والديك"

لكن الكلمة تبقى فكرة،
حتى يراك تفعلها ..

حين تزور والديك،
اصطحب أبنائك،
دعهم يرونك تُقبل يد أبيك
وتجلس قريباً من أمك،
وتنصت لحدِيثهما باهتمام ..

وهنا أتذكّر قول الله:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ ..

ودع أبناءك يسمعونك تقول:

"جزاك الله خيرًا يا أمّي"

"رضاك يا أبي يكفي"

فتمدّ في قلوبهم

معاني قول الله تعالى:

﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ ،

فهذه الدُّروس لا تُنسى ..



حين تختلف مع والديك،

فاخفض صوتك أمام أبناءك

ليتعلّموا أن الاحترام لا يسقط،

فالله تعالى يقول:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

كَرِيمًا﴾ ..

وحيث تخدمهما،
لا تفعلها خفية دائماً،
دع أبناءك يرونك تحمل الأغراض
وتقضي الحوائج،
وتبادر قبل أن يُطلب منك ..

يوماً ما:
سيكبرُ أبنائك،
وسيتذكرون المشهد،
إمّا أن يروا أباً بارّاً، فيبرّوك،
أو يروا تقصيراً، فيتعلّموه ..
فالبرّ لا ينتهي عند والديك،
بل يمتدُّ أثره في ذريّتك
هو سلسلة خيرٍ
إن بدأتها، استمرت بعدك ..

إن أردتَ أبناءَ بارِّين، فكن بارًّا،
فالأبناء لا يرثون المال فقط

بل يرثون:

الصَّوت

والنَّظرة،

والتَّصرُّف،

والقلب،

فابدأ بنفسك، وكن القدوة

التي تريد أن تراها في أبنائك ..



الخاتمة

بين الدعاء والدُمعة

أغلقتُ صفحات هذه الذكريات،
لكنني لم أغلق قلبي ..
فلم تكن هذه الصفحات
مجرد كلمات،
بل كانت عُمرًا يُستعاد،
وقلبًا يتكلم،
وذاكرة تبحث عن وجوه لا تنسى ..

كتبتُ عن أمي:
فشعرتُ أن الكلمات أقصر
من أن تفيها حقها ..

كتبتُ عن أبي:
فاكتشفتُ أن المواقف أكبر
من أن تحاط بسطرٍ أو سطور ..

تذكرتُ ضحكاتٍ قديمة
وأياماً بسيطة،
وبيئاً امتلأ دفئاً بوجودهما ..

وكتبتُ لأقول لكل قلبٍ يقرأ:
ما دام والداك بقربك،
فأنت في نعمة قد لا تشعر بها الآن ..

فقد جعل الله برهما
بعد توحيدِهِ مباشرة،

ليخبرك أن الأمر ليس بسيطاً،
وأن الطريق إليهما
طريق إلى رضاه ..

أدركت أن أجمل ما في طفولتنا،
لم يكن الألعاب
ولا الثياب الجديدة،
بل شعور الأمان،
الذي صنعتة أم بدعائها،
وأب بسعيه ..

هذا الكتاب:
ليس حنيناً فقط،
بل رسالة ..
لمن ما زال والديه بقربه:
لا تؤجل البر ..

ورسالة لمن فقد أحدهما أو كليهما:
لا تحزن،
فالدعاء يصل،
والذكر الطيب حياة ..

هذا الكتاب:
ليس نهاية حكاية،
بل بداية وعي،
فالحب لا يكفي، إن لم يترجم
وأن البر لا يؤجل،
وأن الزمن لا يعود ..
فقد تعلمت:
أن الحب لا يقاس بالكلمات،

بل بالوقت الذي نعطيهِ،
وبالصَّوت الذي نخفضهِ،
وباليد التي نمدُّها،
وبالقلب الذي يلين ..

وتعلَّمتُ:
أنَّ الوالدين
ليسوا مرحلةً في حياتنا،
بل أصلها ..

أبي، أمي:
إن قصرتُ يوماً،
فاغفراااا
وإن نسيتُ لحظةً،
فاذكرا لي لحظات الوفاء ..

أنتم البداية
أنتم الدعاء
أنتم أجمل ما في الذَّاكرة ..

اللهم اغفر لوالدي وارحمهما كما ربياني صغيراً،
واجزهما عني عني خير الجزاء، واجمعني بهما في جنات النعيم..

إينكم المحب

عصام



الفهرس

٢	تقديم أمي الحبيب (أم عمام)
٣	المقدمة
٥	إليكما
٧	(الفصل الأول / أمي دفء العمر)
٨	حفنها الأول
١٣	دعوات الفجر
١٩	خوفها عليّ
٢٥	دمعتها الخفية
٣٢	حين مرضت
٣٨	حين كبرت
٤٥	مبرها الذي لا يرى
٥١	وماياها القصيرة
٥٦	(الفصل الثاني / أبي هيبة و ظل)
٥٧	موته الذي كان يوقظني
٦٢	يده الخشنة
٦٦	أول درس في الرجولة
٧١	نظرة الرضا
٧٦	ممتة المربي
٨١	تعب لا يشتكي
٨٦	مواقف لا أنساها
٩١	حين كنت مديراً
٩٦	حين فارقتني (رحمة الله تعالى)
١٠٣	(الفصل الثالث / بين قلوبهما)
١٠٤	خلافاتهما الجميلة
١١٠	مبرهما علينا
١١٦	مدرسة البيت
١٢٢	رسائل لم أقرأها

١٢٧	(الفصل الرابع / دروس من العمر)
١٢٨.....	البر ليس كلمات
١٣٤	لا تؤجل الاعتذار
١٣٩	الزمن لا يعود
١٤٤	إدّخر دعاءهما
١٤٩.....	اجعل أبنائك يرون برك
١٥٣.....	الخاتمة
١٥٦	الفهرس

نُبذة عن الكتاب

هَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ مُجَرَّدَ تَدْوِينٍ؛
بَلْ هُوَ صَدَىَّ لِحُبٍّ لَا يَنْضَبُ،
وَتَخْلِيدٌ لِذِكْرِيَّاتٍ غُرِسَتْ فِي عُمُقِ الرُّوحِ.

هُوَ رَحْلَةٌ وَفَاءٌ وَاسْتِعَادَةٌ لِذِفَاءِ الْبُيُوتِ ،
عَبْرَ حِكَايَاتٍ وَمَوَاقِفَ سَطَّرَتْ بِصَدَقِ الْقَلْبِ، وَفَاءً
لِمَنْ كَانَا النُّورَ وَالذَّلِيلَ.

أَهْدِي هَذِهِ الصَّفَحَاتِ لِكُلِّ مَنْ يُدْرِكُ قِيَمَةَ الْعَطَاءِ
الصَّامِتِ،

وَدَعْوَةَ الْأُمِّ الْخَاشِعَةِ، وَهَيْبَةِ الْأَبِ الْحَانِيَةِ.

أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ نَافِعاً وَمُبَارَكاً
لِمَنْ يَقْرأُهِ.

عصام بن محمد باسنبل

